

مؤتمر "العرب والولايات المتحدة الأميركية:

المصالح والمخاوف والاهتمامات في بيئة متغيرة (رؤية أكاديمية)"

تبدو العلاقة العربية - الأميركية مركبةً وشديدة التعقيد، فهي وإن كانت تتصف بالعداء الشديد على مستوى الرأي العامّ العربي؛ وذلك بسبب الموقف الأميركي من القضية الفلسطينية خصوصاً، فإنّ الولايات المتحدة الأميركية تحظى، على الرّغم من ذلك، بأكبر عدد من الحلفاء في المنطقة العربية. فحتى الحكومات والتنظيمات التي تزعم، في العلن، أنها تناصب واشنطن العداء، لا تخفي رغبتها في تحسين العلاقات معها، بل إنها تباهي خصومها بذلك أحياناً إن نجحت في تحقيق تقارب معها.

يسعى هذا المؤتمر إلى تفكيك هذه العلاقة المركبة، وإلى تعرّف أوجهها المختلفة، مع الأخذ في الحسبان التحولات التي طرأت عليها منذ أن بدأ احتكاك العرب بالولايات المتحدة الأميركية، قبل نحو قرنين. وإذا كان تاريخ العلاقات العربية - الأميركية يمتد إلى مطلع القرن التاسع عشر، فإنّ الاهتمام الأميركي بالشرق العربي خلال هذه الفترة قد اقتصر على المجالات الثقافية - الدينية والتجارية؛ ذلك أنّ الأماكن المقدسة قد حظيت بمكانة مهمّة في وجدان المهاجرين البروتستانت، إضافةً إلى أنه كان للولايات المتحدة علاقات تجارية واسعة بالدولة العثمانية. وكانت هذه العلاقات سبباً في اندلاع أوّل مواجهة عسكرية خارجية تخوضها الولايات المتحدة الأميركية بعد الاستقلال ضدّ ليبيا سنة 1801.

وخلال النصف الثاني من القرن التاسع عشر عجّت سورية ولبنان بالبعثات التبشيرية الأميركية التي كان لها بالغ الأثر في إحياء الفكر القومي العربي، وأسّست الكلية الإنجيلية السورية التي تحولت عام 1920 إلى الجامعة الأميركية في بيروت (AUB). وفي فترة ما بين الحربين تزايد اهتمام الأميركيين بالمنطقة نتيجة اكتشاف مخزون نفطي كبير على سواحل الخليج العربي وإيران، وحصلوا على امتياز التنقيب عن النفط في السعودية، وأسّست شركة النفط العربية الأميركية (ARAMCO).

وبعد الحرب العالميّة الثانية طرأ تغيير جذري على مكانة الولايات المتحدة الأميركيّة ونفوذها في المنطقة، ولا سيما بعد تراجع الدورين البريطاني والفرنسي. ومن ذلك الحين إلى اليوم، تتوّعت العلاقات العربيّة الأميركيّة وشملت كلّ جوانب التفاعل والتأثير؛ اقتصادياً، وثقافياً، وفكرياً، وسياسياً، بحكم أنّ الولايات المتحدة الأميركيّة دولة عظمى لها حضور متنوع في كلّ مكان من العالم من جهة، وأنّ المنطقة العربيّة تحظى بأهمية جيوسياسية كبيرة، فضلاً عن احتوائها على أكثر من نصف احتياطات العالم من النفط من جهة أخرى.

منذ ذلك الحين تفاوتت هذه العلاقة بين علاقة دافئة بلغت ذروتها أثناء معارضة واشنطن للعدوان الثلاثي على مصر سنة 1956، وإجبار إسرائيل على الانسحاب من سيناء في شباط / فبراير 1957، والعداء السافر الذي تمثّل إمّا عبر دعم واشنطن للسياسات الإسرائيليّة ضدّ العرب، أو حتى من خلال قيامها بغزو أراضٍ عربيّة واحتلالها على نحو ما حصل في العراق سنة 2003. وعلى الرّغم من الصعوبة البالغة التي تواجهها، في كلّ هذه المراحل، أثناء الحديث عن موقف عربي واحد تجاه الولايات المتحدة الأميركيّة، وكذلك العكس، فإنّه يمكن رصد موقفٍ شعبيّ يتراوح بين العداء وعدم الودّ إزاء الولايات المتحدة الأميركيّة، ولا سيما منذ حرب سنة 1967.

طوال فترة الحرب الباردة احتلت المنطقة العربيّة مكاناً مركزياً في الإستراتيجية الأميركيّة، لأسباب مرتبطة بمصالح الولايات المتحدة الأميركيّة المركزيّة فيها، وهي: النفط، وإسرائيل، ومنع التغلغل السوفياتي. وفي مرحلة ما بعد الحرب الباردة، لم تتضاءل أهمية المنطقة على الرّغم من اختلاف طبيعة تهديدات المصالح الأميركيّة فيها، لكنّ الجديد قد تمثّل بأنّ الولايات المتحدة الأميركيّة أصبحت جزءاً من المنطقة؛ فزاد ذلك من تأثيرها المباشر في تحديد مصيرها نتيجة احتلالها دولة عربيّة مركزيّة هي العراق. وفي المقابل، تأثرت الولايات المتحدة الأميركيّة، بسبب هذا الانخراط، تأثيراً شديداً؛ فلقد شكّل غزو العراق، إضافةً إلى الحرب في أفغانستان والحرب على الإرهاب بوجه عامّ، أحد أهمّ أسباب انحدار القوة الأميركيّة بعد أن بلغت ذروتها بانتهاء الاتحاد السوفياتي سنة 1991.

وخلال السنوات القليلة الماضية بدأت حالة انكفاء أميركي في المنطقة العربيّة، نتجت بالأساس من تمدّد زائد للقوة الأميركيّة في العالم الإسلامي، ترتّبت عليه أعباء اقتصادية وسياسية، بلغت تجلياتها ذروتها

في الأزمة المالية، ثم الاقتصادية التي واجهت الولايات المتحدة الأمريكية أواخر عهد الرئيس جورج بوش الابن، ومهدت الطريق لعودة الديمقراطيين إلى البيت الأبيض، وتبني مقارنة جديدة في العلاقة بالعالم والمنطقة العربية.

وفي الوقت الذي تنتهج فيه إدارة أوباما سياساتٍ مختلفةً عن الإدارة السابقة، سواء من جهة تقليل التزاماتها في المنطقة، أو من جهة نقل التركيز إلى الشرق الأقصى، يجري الحديث عن تغيير عميق بشأن رؤية الولايات المتحدة الأمريكية للمنطقة، وإدارةٍ مختلفةٍ لعلاقاتها بالقوى الموجودة فيها. وقد ازدادت هذه النقاشات تراكمًا عقب التقارب الأميركي - الإيراني الذي استهله وصول الرئيس روحاني إلى السلطة في طهران، والتوصل إلى الاتفاق المرحلي المتعلق بالبرنامج النووي الإيراني.

وبسبب الأهمية الكبيرة لأيّ تحوّل يطرأ على العلاقات العربية - الأميركية، وجرّياً على عادة المركز العربي في تتبّع التحولات الإستراتيجية الكبرى التي تؤثر في المنطقة العربية من داخلها أو خارجها، وفي إطار سلسلة المؤتمرات التي عقدها بشأن العرب والقوى الإقليمية الدولية: العرب وإيران (عام 2010)، والعرب وتركيا (عام 2011)، والعرب والقرن الأفريقي (كانون الأول / ديسمبر 2011)، يعقد المركز مؤتمراً أكاديمياً متعلقاً بالعرب والولايات المتحدة الأمريكية في شهر حزيران / يونيو 2014، ويسعى للإجابة عن أسئلة مدارها الإشكاليات التالية:

- إبراز طبيعة التفاعل التاريخي العربي - الأميركي (من التقارب إلى التناقض).
- تحديد حقيقة المصالح الأميركية في المنطقة وتغييرها.
- تحديد موقع كلٍّ من إسرائيل، والعرب، وتركيا، وإيران، من المصالح الأميركية، وإن كانت الولايات المتحدة الأميركية تبحث عن حلفاء جدد.
- تحديد أدوات التأثير في السياسة الأميركية وآلياته من جهة، وأدوات التأثير الأميركي في المنطقة وآلياته من جهة مقابلة.
- تعرّف موقف الولايات المتحدة الأميركية من ثورات الربيع العربي والتغييرات التي طرأت عليه.
- تعرّف دور الجوالي العربية في الولايات المتحدة الأميركية (هل يمكن بناء لوبي عربي فاعل؟).

- التحقُّق من وجود خيارات عربية واقعية للبحث عن مظلة أخرى غير أميركيّة، في ظلّ إعادة تعريف الولايات المتحدة الأميركيّة لحلفائها في المنطقة، وانكفائها النسبي عنها.
- استكشاف مدى الفهم العربي لحقيقة السياسة الأميركيّة نحو المنطقة، والعناصر التي تؤثر فيها داخلياً وخارجياً.
- استكشاف إستراتيجية عربية للتعامل مع التغيرات الحاصلة، بناءً على المقاربة الأميركيّة نحو المنطقة.

وفي ما يأتي نتطرّق إلى القضايا والمحاور الآتية:

المحور التاريخي

1. أميركيّاً

يناقش المحور أسباب التوجه الأميركي نحو المنطقة، وبداياته، وسياقاته، وصولاً إلى الحاضر. وأمّا عناصره فهي:

- التوجه الأميركي نحو المنطقة منذ الحرب العالمية الأولى (1914 - 1918)، مدفوعاً بالاكتشافات النفطية في المنطقة.
- التمدد عبر القوة الناعمة والإيجابية؛ تبشيراً، وتعليمياً، وثقافياً (الجامعة الأميركية في بيروت مثلاً)، وطبياً، وعبر توافر مهندسين وتكنولوجيا استخراج البترول.
- ضرورات التمدد الأميركي مطلع القرن العشرين نحو المنطقة:
 - الطاقة والنفط.
 - ملء الفراغ الإمبريالي في المنطقة المترتب على انكفاء القوى الاستعمارية الأوروبية التقليدية، وولادة نظام عالمي جديد محوره الثنائية القطبية.

- منع تسلُّل التأثير والنفوذ السوفيياتيين (الحرب الباردة)، وتشكُّل أيِّ قوَّة إقليمية عربية كانت، أو غيرها، في المنطقة؛ لئلا تكون منافساً للنفوذ الأميركي، أو متحالفةً مع الاتحاد السوفيياتي مثل "مصر ناصر".
- اعتماد إسرائيل قاعدةً أميركيَّةً متقدمةً لمنع بروز أيِّ قوَّة إقليمية غير صديقة من شأنها أن تهدد مصادر الطاقة وإمداداتها ("مصر ناصر"، ثمَّ إيران بعد الثورة الإسلامية عام 1979، والعراق بعد احتلال الكويت سنة 1991)، ولمنع تسلُّل النفوذ السوفيياتي إليها.
- محاولة احتواء "الأصولية الإسلامية"، ثمَّ الحرب على الإرهاب في تسعينيات القرن الماضي ومطلع القرن الحالي.
- الناحية التجارية المتمثِّلة بضمان أسواق واسعة للبضائع الأميركية.

2. عربياً

- يناقش هذا المحور دواعي توجُّه الأنظمة العربية التقليدية نحو الولايات المتحدة الأميركية، وهي:
- البحث عن مظلة عسكرية حمائية غربية في ظلَّ انكفاء القوى الاستعمارية التقليدية، وخصوصاً مع التمدد السوفيياتي نحو المنطقة عبر أنظمة يسارية حليفة، شأنَ مصر، واليمن الجنوبي، وسوريا، ثمَّ بعد الثورة الإسلامية في إيران عام 1979.
 - الحاجة إلى تكنولوجيا حديثة لتطوير مصادر الطاقة.
 - السعي لتوفير مظلة أمنية للأنظمة الحليفة للولايات المتحدة تحسباً لوقوع انقلابات عسكرية أو انتفاضات شعبية.
 - اقتناع عدد كثير من الأنظمة بأنَّ "شرعيَّتها" يمكن تأمينها عبر علاقات وثيقة بالولايات المتحدة الأميركية، بدلاً من توثيقها من خلال الإرادة الشعبية، بخاصَّة بعد ثورات "الربيع العربي"، وأخر عام 2010.

المحور الثقافي

1. أميركيًا

- صناعة الصورة العربية في الولايات المتحدة الأميركية وتتميطها.
- دور الصورة النمطية في صوغ السياسات الأميركية (إن كان ثمة صلة).

2. عربيًا

- صناعة الصورة الأميركية في العالم العربي وتتميطها.
- صورة الولايات المتحدة الأميركية في المخيال العربي الجمعي: "أميركا الداعمة للعدوان الإسرائيلي"، و"أميركا الإمبريالية"، و"أميركا تشن حربًا على الإسلام".

محور الولايات المتحدة الأميركية والإسلام السياسي

1. أميركيًا

- هل توجد مقارنة أميركية رسمية للإسلام السياسي، ما هي؟
- أيّ إسلام تحديداً (البرالي / سلفي / إخواني / نهضويّ / النموذج التركي / حزب النور .. إلخ)
- ما سبب الاهتمام الأميركي بالإسلام السياسي؟
- النقاش الأميركي للإسلام السياسي: طبيعة وتياراته.
- آفاق هذه المقارنة في ظلّ إجهاض تجربة الإخوان في مصر، والتّوتير في تونس وتركيا.

2. عربياً

- مقارنة تيارات الإسلام السياسي للولايات المتحدة الأمريكية.
- عناصر هذه المقاربة.
- تعدد زوايا النظر ونقاط التركيز في مقارنة الولايات المتحدة الأمريكية.
- نقاط التوتير (إسرائيل، والإسلاموفوبيا، وغزو العراق وأفغانستان، ودعم الأنظمة الدكتاتورية.. إلخ).
- دور ما جرى في مصر، والموقف الأميركي من عزل مرسى في إعادة مقارنة هذه التيارات للولايات المتحدة الأمريكية.

محور المواءمات الجديدة في المقاربة الأميركية بشأن المنطقة العربية

- تأثيرات أحداث الحادي عشر من سبتمبر في إعادة النظر أميركياً في مقاربتها نحو المنطقة.
- أثر تورط الولايات المتحدة الأمريكية في العراق، وأفغانستان، والحرب غير المعرفة على "الإرهاب"، في استنزافها اقتصادياً وإستراتيجياً.
- تدهور السمعة الأميركية عربياً، وإسلامياً، وعالمياً؛ بسبب لجوئها إلى القوة المفرطة وعسكرة سياستها الخارجية.
- تصاعد بروز الصين في فضاء "آسيا الهادئ" وإعادة انبعاث النفوذ الروسي بعد ركوده، في ظلّ استنزاف أميركي في الشرق الأوسط والعالم الإسلامي.
- إدارة أوباما ومحاولة التوجه نحو "آسيا الهادئ".
- العودة إلى المنطقة العربية في ظلّ ثورات "الربيع العربي" وارتداداتها.

- الصراع العربي - الإسرائيلي عاملٌ توريطٌ للولايات المتحدة الأميركية في المنطقة، وسعيها لحلحلة عُقدته.
- محاولة إعادة تعريف التحالفات أميركياً في المنطقة عبر بناء توازنات قوَى إقليمية (السعي لإعادة تأهيل إيران مثلاً)، في ظلّ تراجع نفوذ الولايات المتحدة الأميركية وتأثيرها في المنطقة، ورغبتها في التركيز أكثر فأكثر على "آسيا الهادئ".
- المقاربة الأميركية المتصورة للأدوار التركية - الإسرائيلية - الأميركية في فضاء الإقليم.
- هل يوجد في المقاربة الأميركية، نحو المنطقة، معطيان؛ أحدهما "سني" والآخر "شيعي"، في المواءمات الجديدة؟
- هل تستطيع الولايات المتحدة الأميركية الانسحاب، فعلاً، من المنطقة العربية في ضوء تزايد اكتفائها الذاتي من الطاقة، وتراجع اقتصادها، وسعيها للتركيز على بُور عالمية أخرى أكثر أهميةً إستراتيجياً؟

محور خيارات حلفاء الولايات المتحدة الأميركية من العرب في ظلّ تراجع تأثيرها وسعيها

لإعادة تعريف حلفائها

- هل يوجد إدراك لعمق التغيير في المقاربة الأميركية بشأن المنطقة والحلفاء العرب؟
- هل ثمة خيارات واقعية للبحث عن مظلة حمائية أخرى غير أميركية، أو - على الأقلّ - تنويعها؟
- ماذا عن بناء مقاربة جمعية عربية تعمل على بعث الكينونة العربية العابرة للحدود القطرية؟ هل هذا خيار واقعي؟
- ماذا عن إيجاد عُقدٍ ودعمٍ للوبي عربي أميركي فاعل في الولايات المتحدة الأميركية؟